دار الحياة

الأمم المتحدة بين بناء الإستقرار في العراق ودفعه نحو مزيد من التفكك

من دون شك، يمكن للأمم المتحدة أن تلعب دوراً موسعاً في دفع العملية السياسية والاقتصادية العراقية، المتهالكة أصلاً، نحو أفق جديد من الإستقرار والتقدم. فالولايات المتحدة وبريطانيا، ومعهما حكومة نوري المالكي، لا تني تثبت يومياً، بشكل منفرد أو عبر محاولات وبرامج مشتركة، عجزها عن تنشيط العملية وإيجاد حلول وسطية وعملية لمشكلات العراق وأزماته على مختلف الصعد. أما المنظمة الدولية فإنها ستأتي الى العراق مدعومة بإرادة دولية وموقف حيادي موضوعي ورؤية واقعية تستند الى خبرة هائلة في ميدان حل النزاعات المحلية والإقليمية والدولية.

لهذا كله، يصح الإستبشار بالقرار الرقم ١٧٧٠ الذي أصدره مجلس الأمن قبل أسابيع وإختص بتوسيع دور المنظمة الدولية في العراق. لكن ما يصح أيضاً، في هذا المنحى، أن الأمم المتحدة التي تأمل في قطف نجاح طالما عجز عنه الأميركيون والبريطانيون، قد تثبت هي الأخرى عجزها عن تحقيق المطلوب لأسباب لا علاقة لها ببيروقراطية أجهزتها والتباطؤ البيّن في نشاطاتها وتحركاتها في مواقع أخرى في العالم، إضافة الى التباين الواضح في مواقف دولها الدائمة العضوية في مجلس الأمن حيال المشكلة العراقية، رغم الإجماع الحاصل في القرار ١٧٧٠، بل لذلك علاقة مباشرة بتعقيدات الوضع العراقي الداخلي والإستقطابات المذهبية والإثنية والسياسية الحاصلة في إطاره.

على هذا الصعيد، قد يصح تذكير الأمم المتحدة بحقيقة أن أي فشل تواجهه في مهماتها العراقية، خصوصاً في ميدان تنشيط الحوار بين العراقيين وتفعيل عملية المصالحة الوطنية بين شرائحهم وتكويناتهم، قد يفضي الى نتائج مدمرة ليس أقلها المزيد من الفوضى واللاإستقرار والتفكك والإنهيار.

والأكيد أن إنهيار الدولة العراقية ليس في صالح أحد. وللحؤول دون الوصول الى نتيجة كهذه، لابد للمنظمة الدولية التي تمتلك تجربة مريرة في العراق منذ عام ١٩٩٠، إضافة الى المأساة المروعة التي واجهتها في آب (أغسطس) ٢٠٠٣ إثر التفجير الإرهابي الذي طال مقرها في بغداد وذهب ضحيته ٢٣ من موظفيها على رأسهم سيرجيو دي ميللو، لابد لها من توخي حذر شديد في طريقة أداء أعمالها، والدقة في الإنشغال بمهمتيها الأساسيتين المتعلقتين بتقديم الدعم الإنساني وتنشيط عملية الحوار بين العراقيين.

في هذا الصدد، يمكن القول إن التحدي الأول الذي يواجه المنظمة الدولية، يتمثل في ضرورة مراعاتها لخصوصيات العراق وحساسياته الداخلية ودقة موازينه الذاتية. وهنا، يمكن الإشارة الى حقيقة أساسية مفادها أن المكونات العراقية، بعد أربع سنوات على زوال النظام السابق، لم تعد كيانات هزيلة تنتظر الحل من الخارج، بل تحولت بفعل الصراعات السياسية والمواجهات الأهلية والمذهبية المسلحة، الى كيانات معنوية وسياسية وقانونية تمتلك كلمتها الخاصة وإرادتها المستقلة وعلاقاتها الإقليمية والدولية المتمايزة. بل أن كلاً من هذه التكوينات نجحت في دعم شخصيتها السياسية المستقلة بجيش خاص ومؤسسات أمنية نشطة ونشاط إقتصادي منفصل الى حد كبير.

والأرجح انه لا يمكن وصف هذه الحالة بأنها سليمة وطبيعية. لكن الأكيد أنها حالة واقعية قائمة ينبغي إحترامها والتعامل معها بروح من الإستيعاب والتفهم بعيداً عن الكوسموبوليتية التي تطبع هوية المنظمة الدولية.

وفي هذا المعنى، المطلوب من الأمم المتحدة أن توازن مبدأها القائم على التعامل فقط مع الدول والحكومات المركزية بمبدأ مناقض مفاده ضرورة تعاملها مع خصوصيات الأحوال المحلية في العراق وتفهم مطالب مكوناته وخصوصياته في الدرجة الأولى. فالمنظمة الدولية التي تأتي الى بغداد محملة بقناعة مؤداها أنها ستبحث عن حلول لمشكلات العراقيين هنا، يجب أن تعرف أن الجزء الأساسي لهذه الحلول لا يكمن في العاصمة الفيدرالية بغداد، بل في النجف الأشرف حيث المرجعية الدينية وحاضنة القرار السياسي لشيعة العراق، وفي أربيل حيث المرجعية السياسية الكردية ورئاسة الإقليم و حكومة إقليم كردستان العراق.

والتحدي الثاني الذي يواجه المنظمة الدولية يتمثل في كيفية تعاملها مع الدستور العراقي الدائم الذي إتفق عليه العراقيون وجرى تصديقه في البرلمان بشكل شرعي. في هذا الإطار،لا بد للأمم المتحدة من الإنتباه الى عدم زج موضوعة قانونية كالدستور في اللعبة السياسية والدموية الجارية. كما أن الدستور في صورته الراهنة إنجاز عراقي كبير وسط بحر من الإخفاقات. لهذا ينبغي الإحتفاظ بهذا الإنجاز والعمل على حفظه من أي مكروه شوفيني أو مذهبي أو سياسي. يشار الى أن العمل جار بين العراقيين منذ أشهر، وفي جو ملؤه الإختلافات، في إتجاه إدخال تعديلات على بعض بنود الدستور وديباجته وتوجهاته العامة. وفي هذا الإطار، يجب أن تأخذ الأمم المتحدة في إعتبارها أن الجزء الأكبر من العراقيين، الأكراد والشيعة، غير مستعدين لإدخال أي تعديلات جوهرية على بنوده الاساسية أو حرفه عن توجهاته الديموقراطية والفيدرالية، أو التلاعب بالمواد المتعلقة بصلاحيات الأقاليم وتوزيع الثروات النفطية. وفي هذا الخصوص، يعتقد العراقيون أنهم حصلوا على هذه الحقوق بفعل تقديمهم لتضحيات هائلة وتعرضهم لحروب مقرفة من الإبادة والتدمير، ما يعني عدم إستعدادهم لتقديم تنازلات في خصوص هذه الحقوق حتى إذا طلبت منهم الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة ذلك.

التحدي الثالث يتمثل في كيفية تعامل المنظمة الدولية مع المادة ١٤٠ الخاصة بحل قضية كركوك. في هذا الصدد، يجب أن تنتبه الأمم المتحدة الى أن هذه المادة الدستورية تمثل حلاً واقعياً ومتوافقاً عليه بين العراقيين، ما يعني ان قضية كركوك، بعد إقرار الدستور في البرلمان العراقي، لم تعد تنتظر حلاً، بل أصبحت تنتظر تطبيق الحل الذي تتباطأ فيه حكومة المالكي. يشار الى أن حكومة إقليم كردستان العراق أعلنت بشكل صريح أنها غير مستعدة لتسليم ملف كركوك الى الأمم المتحدة، بل أنها تعمل على تطبيق الحل الدستوري، اي المادة ١٤٠، بالتعاون مع حكومة المالكي.

الأرجح أن أطرافاً عراقية معزولة لا تريد الإندماج في عراق يمتلك فيه الكردي حقوقاً متوازنة مع حقوق العربي أو يمتلك فيه الشيعي حقوقاً متكافئة مع حقوق السني العربي، وهي ستضع هذه التحديات أمام المنظمة الدولية. والأرجح أيضاً أنها ستربط إندماجها بحكومة المالكي أو بالعملية السياسية بشرط أساسي مفاده إدخال تعديلات كبيرة وجوهرية على الدستور خصوصاً في ما يتعلق بقضية كركوك وسلطات الأقاليم وموضوعة النفط. والأكيد كذلك أن مثل هذه الشروط أو موافقة الأمم المتحدة عليها، ستدفع بالدور الموسع للمنظمة الدولية في العراق الى حافة فشل ذريع، ما قد يزيد، كما قلنا، من حالة الفوضى والتفكك في الدولة العراقية.

وخلاصة القول إن الأمم المتحدة مطالبة بالتركيز على إنجاز مهمتيها الأساسيتين في العراق: الأولى، تقديم الدعم الإنساني للعراقيين والمشاركة الفاعلة في عمليات إعادة إعمار البلد. والثانية، تنشيط عملية الحوار بين العراقيين وتقريب وجهات النظر بين مكوناتهم والعمل على تسهيل المصالحة الوطنية وفق المبادىء التي تم الإتفاق عليها في إطار الدستور الدائم. وأي إذعان لشروط إخراج المنظمة الدولية من إطار هاتين المهمتين لا يمكن أن يعني سوى الفشل. فالعراق في تكوينه الداخلي وواقعه الراهن أكثر تعقيداً مما تتصوره الأمم المتحدة.

سامي شورش
الحياة ٢٠٠٧/٠٨/١٧

أمريكا وإيران.. الحرب الباردة الجديدة

الأخبار

منذ تولي الرئيس فلاديمير بوتن الحكم مع اوائل عام ٢٠٠٠، وما تطورت اليه سياساته من إنهاء الوضع المتردي الذي شهدته روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وخلال عهد بوريس يلتسين، وتراجع روسيا علي كل الجبهات السياسية والاقتصادية ومؤسساتها العسكرية التي كانت عماد قوتها، وبانتهاء هذه الحقبة ومجيء رئيس شاب هو فلاديمير بوتين عادت روسيا من جديد تؤكد مكانتها الدولية وادوارها في القضايا الإقليمية والدولية ودخلت في هذا في مواجهات سياسية ودبلوماسية مع الولايات المتحدة والغرب كان آخرها معارضة روسيا للمشروع الامريكي لبناء نظام للدفاع الصاروخي في شرق اوروبا . ولم تقتصر صحوة روسيا علي تأكيد نفسها خارجيا فقط بل ساعد علي ذلك استعادة الاقتصاد الروسي قوته وكان ذلك بفعل ما تمتلكه من مصادر البترول والغاز والارتفاع الكبير في اسعارها الدولية بحيث مكن روسيا من سداد ديونها الدولية وتحقيق احتياطي كبير من العملة الاجنبية، وقد حدث كل هذا في إطار سياسة صارمة لادارة الاقتصاد الروسي ومؤسساته ومواجهته بما يسمي بأباطرة المال oligarcsالذين سادوا وسيطروا وافسدوا الاقتصاد الروسي خلال عهد يلتسين.

وقد ارتبط بتطور الوضع الروسي، وخاصة في العلاقة مع الولايات المتحدة ومجالات ومناطق الاختلاف بينهما ، ظهور الاعتقاد بأن الحرب الباردة تعود بين البلدين، فهل يفسر هذا حقا حقيقة العلاقات واتجاهها بين الولايات المتحدة وروسيا؟ إن الكثير من خبراء العلاقات الروسية الامريكية يشككون في هذا الافتراض، ويعتقدون انه رغم مناطق الخلاف بين البلدين الا انهما تجمعهما مصالح مشتركة حيث تحتاج الولايات المتحدة لروسيا في قضايا الإرهاب، ومنع انتشار اسلحة الدمار الشامل، والبرنامج النووي لكوريا الشمالية، مثلما تحتاج روسيا الولايات المتحدة في الاستثمارات والتكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الطاقة، والانضمام إلي منظمة إلي منظمة التجارة العالمية، هذا فضلا عن تخلي روسيا الاتحادية عن الايديولوجية الشيوعية والتي كانت المكون الاساسي للحرب الباردة بين القوتين.

فاذا كانت الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد انتهت وليس من المحتمل ان تتجدد، فإن ثمة حربا باردة جديدة تدور بين الولايات المتحدة وقوة إقليمية اخري صاعدة هي ايران، وترجع جذور هذه الحرب الباردة إلي انهيار نظام الشاه في ايران عام ١٩٧٩ وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي دخلت من اليوم الاول في مواجهة تضمنت غارات عسكرية امريكية لتحرير الرهائن الامريكيين، ووصف قائد الثورة الايرانية الامام الخميني الولايات المتحدة باعتبارها ... الشيطان الاكبر... ومن هذا التاريخ البكر، والولايات المتحدة تعتبر إيران قوة مناهضة للسياسات الامريكية في المنطقة وربما في العالم اعتبارا من دعم الحركات الارهابية والعمل علي تقويض النظم الصديقة للولايات المتحدة ، والعداء لإسرائيل، كل هذا في إطار ايديولوجيتها الاسلامية والتبشير بها في العالم لاسلامي، الامر الذي اكسب الصدام اهم مكوناته، وهو المكون العقيدي والايديولوجي.

غير ان المواجهة الامريكية الايرانية بلغت ذورتها، ودخلت إلي مستوي الحرب الباردة التي يمكن ان تتحول في اي وقت إلي صدام مسلح عندما اعلنت ايران علي تصميمها علي برنامج نووي يتضمن تخصيب اليورانيوم وهو ان كانت تعتبر انه برنامج سلمي لتلبية احتياجاتها من الطاقة، الا ان الولايات المتحدة تصر علي انه برنامج تستهدف به ايران امتلاك قدرة نووية للاغراض العسكرية وهو ما تؤكد الولايات المتحدة أنها لن تسمح به، في سبيل ذلك اتبعت الولايات المتحدة كل اساليب الضغط السياسي والاقتصادي واستصدار العقوبات من مجلس الأمن علي ايران، وإن كانت في نفس الوقت قد سايرت بحث مشكلة البرنامج النووي الايراني من خلال المجموعة الاوروبية ورفضت الدخول في حوار مباشر مع ايران حول هذه القضية.

وتدخل الحرب الباردة بين الولايات المتحدة وايران مرحلة جديدة من جهود الضغوط الامريكية علي يران وذلك بما اعلنته الولايات المتحدة مؤخرا عن صفقة للاسلحة للدول الخليجية تبلغ ٢٠ مليار دولار، وهي مرحلة جديدة من مراحل الحرب الباردة واساليبها بين البلدين، ونعتقد ان الولايات المتحدة تستهدف من هذا جر إيران إلي عملية سباق للتسلح، تستنزف اقتصادها المنهك فعلا وبشكل يخلق ضغوطا علي الداخل الايراني، ويذكر هذا الاسلوب الامريكي بما اتبعته ادارة ريجان في المواجهة التي تبنتها منذ مجيئها مع الاتحاد السوفيتي حين دخلت معه في مواجهة سياسية واقتصادية وعسكرية، وحيث صعدت الولايات المتحدة من بنائها العسكري وصممت برنامجا بما يسمي بمبادرة الدفاع الاستراتيجي SDIوالتي استهدفت جر الاتحاد السوفيتي إلي سباق للتسلح وبمستوي لا يقدر عليه اقتصاده، او يجبره علي الخروج من هذا السباق والتسليم بالتفوق العسكري الامريكي، وهو ما اعتقد العديد من المراقبين انه كان وراء ما دفع جور باتشوف إلي سياسته الجديدة: ...البروستوريكا... والتي ادت في النهاية إلي انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه.

علي اي حال فإذا كان هذا هومن اهداف الولايات المتحدة من صفقة الاسلحة الجديدة لدول الخليج، فإن العديد من المراقبين لا يثقون في فاعلية هذه السياسة فما يتعلق باحتواء إيران ويفضلون عليها لو كانت الولايات المتحدة قد خصصت قيمة هذه الصفقة لخدمة أهداف تعليمية واقتصادية وبناء للبنية التحتية لدول الخليج وخلق مجتمعات واسواق مزدهرة وبشكل يقنع هذه المجتمعات بان النظام الايراني ليس هو النظام الذي يستحق تقليده والاقتداء به.

د. السيد أمين شلبي
الأخبار المصرية
٢٠٠٧/٨/١٦

فورة الاشقياء.. القاعدة وأخواتها

السفير

تعيش القاعدة وأخواتها فورة ملحوظة في نشاطها سواء في المناطق الملتهبة من العالم، او في مثيلاتها المرشحة للالتهاب، ويتوالى في بلدان مثل العراق وباكستان وفلسطين ولبنان وافغانستان، وبلدان شمال افريقيا وبعض دول اوربا واميركا، ظهور مؤشرات على تزايد نشاطات القاعدة واخواتها، ومن ذلك تصاعد هجمات مسلحي القاعدة في الجزائر، واكتشاف السلطات هناك اعضاء جددا في القاعدة، والامر مماثل في العراق، رغم كل الانشطة السياسية والهجمات العسكرية والامنية ضد القاعدة ومثيلاتها، التي تشاركت في القيام بها القوات الاميركية وقوات الجيش والامن العراقيين.

وقد تجاوزت القاعدة كل ما سبق بالإعلان عن توسيع اهدافها من جهة، والاعلان عن تدريب نساء للقيام بعمليات انتحارية ضد اهداف، تنوي ضربها، ووفقا لما قاله احد قياديي القاعدة آدم يحيى غادان المعروف باسم ؟عزام الاميركي؟ مؤخراً، فإن السفارات الاجنبية عبر العالم ستكون في جملة اهداف القاعدة، وهو اعلان سبقه اعلانات عن اهداف اخرى للقاعدة يتم تحديدها للمرة الاولى في لبنان وسوريا وفرنسا، وهذه بعض مؤشرات فورة القاعدة الحالية.

وفورة القاعدة، تبدو متلازمة مع فورة اخواتها من التنظيمات والجماعات، التي اختطت العنف والارهاب طريقاً نحو اهدافها، التي تشمل دولاً مختلفة بينها دول عربية واسلامية وضعتها على اجندة عملياتها، وأصابت في هذا السياق اهدافاً مدنية من الافراد والمؤسسات، لم تقل القاعدة وشقيقاتها، انها تستهدفهم، لكنها عملياً اوقعت في صفوفهم كثيرا من الخسائر والدمار على نحو ما حملته نتائج التفجيرات والعمليات التي جرى القيام بها، ولعل ابرز التعبيرات العملية عن فورة شقيقات القاعدة، يمكن تلمسها في افغانستان، التي كانت موئل التطرف الديني طوال العقود الثلاثة الاخيرة من القرن الماضي، وفيه ولدت وتطورت القاعدة، وكذلك شقيقتها الافغانية حركة طالبان، التي صعدت من مواجهاتها مع القوات الاطلسية في الاشهر الماضية في اطار ما سمي بـ؟هجوم الربيع؟ وتتوالى في سياقه الاخبار عن معارك شبه يومية بين طالبان والقوات الاجنبية وقوات السلطة الافغانية من جهة اخرى.

والتعبير الآخر عن فورة اخوات القاعدة، حاضر في باكستان، التي شكلت ولا سيما مناطقها الغربية في اقليم وزيرستان قاعدة للتطرف الذي لم يدعم ويساند القاعدة وطالبان فقط، بل عزز نزوع بعض الباكستانيين نحو التطرف، وتبني المشترك في افكار وممارسات القاعدة وطالبان، وكانت عملية المسجد الاحمر في باكستان مثالاً على هذا النسق من التطرف الذي تسانده بدرجات جماعات اسلامية عديدة من التحالف الاسلامي المعارض والمسمى ؟مجلس العمل المتحد؟. ويندرج في جدول شقيقات القاعدة تنظيم فتح الاسلام الذي فجر احداث طرابلس ومخيم نهر البارد في شمال لبنان قبل نحو ثلاثة اشهر في محاولة لاشعال الفتنة وسط ازمة سياسية كبرى، وقد كشفت تطورات الصراع بين فتح الاسلام والجيش اللبناني الروابط الوثيقة بين القاعدة وفتح الاسلام، قبل ان تؤكد التحقيقات الامنية اللبنانية تلك الروابط، وقد تجاوزت الخلفيات العقائدية والسياسية الى وجود روابط تنظيمية بين الجانبين، وهو واحد من اشكال تربط بعض شقيقات القاعدة بالاخت الكبرى.

وفورة القاعدة واخواتها تستند الى ظروف متشابكة ومعقدة، قد يكون الاهم فيها ما يتصل بالبيئة الخارجية المحيطة، وما تفرزه من تأثيرات سلبية او ايجابية على جماعات العنف والارهاب واولها القاعدة.

والكلام عن البيئة الخارجية يستدعي الاطار السياسي الذي يرسم حدود تلك البيئة، والذي تعبر عنه بوضوح التجربة العالمية في الحرب على الارهاب، التي كشفت عن خلل في مفهوم الارهاب، وبينت ضعفا ظاهرا في فهم الحرب وآليات خوضها. فقد جرى اخضاع المفهوم لمتطلبات السياسة، وتم ابراز الحرب في احد جوانبها باعتبارها حرباً دينية ضد الاسلام والمسلمين، او ضد جزء من الاول وبعض الاخيرين، وترافق مع ماسبق اعتماد اسلوب القوة الغاشمة القائمة على الصلف والعنجهية آلية اساسية في الحرب.

لقد راكمت القاعدة وأخواتها خبرات متزايدة، وتوفرت لها امكانيات مادية ولوجستية كبيرة مستفيدة من الهجمات السياسية والعسكرية غير الفعالة التي تمت ضدها. ووسط البيئات الخارجية المساندة، توفرت للقاعدة وشقيقاتها فرصة للفورة الراهنة، والتي قد تتحول الى مكسب كبير ما لم تدرك القوى المعنية جدياً بـ؟الحرب على الارهاب؟ وجماعاته وخاصة القاعدة واخواتها ضرورة تقييم الفترة الماضية واعادة النظر في مفهوم الارهاب وفي بعض السياسات والممارسات التي جرى اتباعها، واجراء تغييرات جوهرية في تلك الحرب بمحتواها ومساراتها.

فايز سارة
السفير١٥/٨/٢٠٠٧

قالوا

الفرضيات أن تتم هذه اللقاءات والاجتماعات، لكن الحكم على النتائج هو المهم وليس فقط إعلان المصالحة على الطاولة ليصبح الفراق حتمياً لمجرد الخروج من البوابة،

يوسف الكويليت
جريدة الرياض
٢٠٠٧/٨/١٥

عندما نلحق الصفة بالأنا تتحول الى نقيضها. بالأحرى الى نقيضها. والغرور لا يقتل الأفراد فقط بل الشعوب. وانظر حولك: هل يمكن أن تحب أو تحترم سياسيا يبلغك انه أهم من كل شعبه؟

سمير عطا الله
الشرق الاسط
٢٠٠٧ /٨/١٧

ان الفجيعة تكمن ببعض الكّتاب والمثقفين العراقيين الذين لا يعرفون الا رؤيتهم الضيقة جدا للحياة والامور، وهي رؤية لا تقتصر على الناس العاديين، بل تنتقل وبفجاجة لا نظير لها الى المثقفين والساسة والنخب المتماهية مع هذا ضد ذاك او ذاك ضد هذا.

سيار الجميل
جريدة الحياة
٢٠٠٧ /٨/١٤

قد تغيب لفترة الروح الموحدة للشعوب، إلا أنها سرعان ما تحضر وبقوة، أمام المسألة العراقية كي تكتمل إشكالية قصر نفس في مكانين، الأول أميركي، وهو قصر نفس له علاقة بالزمن، وعراقي له علاقة بالصبر والمثابرة.

محمد الرميحي
كاتب كويتي.
الحياة ٢٠٠٧/٨/١٥

إن لجوء السلطة إلى ممارسة القهر السياسي ليس تعبيراً عن القوة –أو عن فائض في القوة– لديها كما قد يظن، وإنما هو بالعكس تعبير عن مقدار ما تعانيه من عجز في القوة.

عبد العزيز بلقريز
الحياة
٢٠٠٧/٨/١٧